تقديم

الإمام أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، كرم الله وجهه، غني عن التعريف. فهو ابن عم النبي ﷺ وصهره، ورابع الخلفاء الراشدين وأول الناس إسلاما. ولد قبل البعثة بعشر سنين وتربى بحجر النبي ولم يفارقه، وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك، وتزوج ابنته فاطمة. وتوفي شهيدا بالكوفة سنة أربعين وقد نيف على الستين[1].

وقد زخرت كتب التاريخ والتراجم بتفصيل سيرته عليه السلام وذكر مناقبه وخصائصه ومزاياه. ولقد كانت حياته كلها مملوءة بالأحداث وجلائل الأمور. وفي أيام خلافته صادفته أحداث جسام، لقي فيها ما لقي من تفرق الكلمة واختلاف الجماعة وانفصام العروة. وكان كما وصفه الحسن البصري: سهما صائبا من مرامي الله على عدوه وربانيا هذه الأمة وذا فضلها وسابقتها وذا قرابتها من رسول الله ﷺ. وكان لاجتماع كل هذه المزايا والصفات فضلا عن سرعة بديهته وسلامة ذوقه، أن مكنت له من وجوه البيان فجرت على لسانه الخطب الرائعة والرسائل

---

(١) ابن الأثير، حوادث سنة ٤٠هـ، والطبري ٦/ ٨٣، والبدء والتاريخ ٥/ ٧٣، وصفة الصفوة ١/ ١١٨، ومفتاح الفائين ١٤، والمسعودي ٢/ ٢ ـ ١٣٩، والإصابة، الترجمة ٥٦٩٠.

الجامعة والوصايا النافعة، التي تداولها الناس في حياته وحفظوها في الصدور بعد مماته حتى كان عصر التدوين والتأليف، فعكف على جمعها الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي في كتابه «نهج البلاغة».

وقد كان الإمام علي كرم الله وجه من البلغاء في خطبهم ومواعظهم، وقد نسب إليه كتاب «نهج البلاغة». فقد حفظت كتب التراجم والسير وأمهات مصادر البلاغة والنقد والأدب عددا كبيرا من خطبه، غير أن أغلب هذه الخطب ليس من نسج كلامه، ومن مكنون مراده. وقد اختلف العلماء هل «نهج البلاغة» من عمل الشريف المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦هـ [١] أو هو من عمل أخيه الشريف الرضي المتوفى سنة ٤٠٦هـ[٢].

يقول ابن خلكان في ترجمة أولهما في كتابه «وفيات الأعيان»: وقد اختلفت الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي ابن أبي طالب رضي الله عنه هل هو جمعه أم جمع أخيه الرضي وقد قيل: إنه ليس من كلام علي، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه[٣]. ويردد هذا الكلام اليافعي في مرآة الجنان وابن العماد في شذرات الذهب، ويؤكد الذهبي في ميزان الاعتدال أن الشريف المرتضى هو

---

(١) كان نقيب الطالبيين وعالما في علم الكلام والأدب والشعر، وكانت ولادته في سنة ٣٥٥هـ، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/ ٤٤٣، وسزكين، ١/ ١١٢٤.

(٢) نقيب الأشراف ببغداد، ولد في بغداد عام ٣٥٩هـ، حاجي خليفة، كشف الظنون، ٢/ ١٩٩٢؛ وسزكين، معجم، ١/ ١١٢٣.

(٣) ـ انظر وفيات الاعيان لابن خلكان جـ ٣ ص ٣١٣.

الذى وضعه، ويذهب مذهبه ابن حجر العسقلانى، وذهب النجاشى ت ٤٥٠هـ فى كتابه «الرجال» إلى أن مؤلف الكتاب هو الشريف الرضى. وما ذهب إليه النجاشى هو الصحيح بشهادة الرضى نفسه وشهادة شراح كتابه، فقد ذكر فى الجزء الخامس المطبوع من تفسيره أنه هو الذى ألفه ووسمه باسمه «نهج البلاغة» كما ذكر ذلك فى كتابه «مجازات الآثار النبوية» ويشير ابن أبى الحديد ت ٦٥٥هـ فى شرحه للكتاب يعترف بأن خطبته من عمل الشريف الرضى، ويذهب ابن هيثم البحرانى فى شرحه عليه إلى أنه من تأليف الشريف.

وعلى هذا فالكتاب من صنع الشريف الرضى. ويظهر أنه ليس من عمله جميعا فقد أضاف إليه عدد كبير من أرباب الهوى خطبا كثيرة، ودليل هذه الإضافات ما ذكره المسعودى فى «مروج الذهب» إذ يقول: «الذى حفظ الناس عن على من خطبه فى سائر مقاماته أربعمائة خطبة ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهية تداول الناس ذلك عنه قولا وعملا. وكأن الشريف الرضى وجد مادة صاغ منها كتابه وهى مادة بنيت على السجع، وفى ذلك نفسه ما يدل على كذب نسبتها إلى على إذ ليس من الطبيعى أن يسجع على خطابته، بينما ينهى الرسول الكريم ﷺ عن السجع، ويتحاشاه أبو بكر وعمر وعثمان فى خطبهم رضى الله عنهم.

وقد ذكر شوقى ضيف[1] نقلا عن عدد من المصادر التاريخية والعلمية بشأن نسبة كتاب «نهج البلاغة» إلى الإمام على. ومدى صحة هذه

---

(١) الفن ومذاهبه فى النثر الفنى د. شوقى ضيف ص ٦١ وما بعدها.

النسبة من كذبها كلام موثق لا يحتمل الشك، لأنه اعتمد على السجع المتكلف، وقد نهى رسول الله ﷺ عن السجع المتكلف الذى يعد من قبيل سجع الكهان كما قال ﷺ: «أسجعا كسجع الكهان»، لأنه من الطبيعى أن عليا كرم الله وجهه لا يسجع فى خطابته.

والواقع أن «نهج البلاغة» هو نتاج محاولات كثير من العلماء والأدباء على مرّ العصور ليفردوا لكلام سيدنا على كرم الله وجهه كتبا خاصة، وجاءت أعظم هذه المحاولات خطرا وأعلاها شأنا، فى مجموع ما اختار الشريف الرضى أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوى المذكور أعلاه، ولكنه لم يذكر فى صدر كتابه المصادر التى رجع إليها أو الشيوخ الذين نقل عنهم، إلا أنه، وكما يبدو من تضاعيف كتابه، نقل عن كتاب البيان والتبيين للجاحظ، والمقتضب للمبرد، وكتاب المغازى للأموى، وكتاب الجمل للواقدى، والمقامات فى مناقب أمير المؤمنين لأبى جعفر الإسكافى، وتاريخ ابن جرير الطبرى، وغيرهم.

وقد اخترنا من هذا الكتاب الضخم عدة صفحات قيّمة وقسمناها إلى عدة فصول. وتناولنا فى الفصل الأول بعضا من خطبه المختارة، وفى الثانى أدعيته المأثورة، وجاء الثالث فى كلامه والرابع فى حكمه.

وقد اعتمدنا فى إصدار هذه «الزبدة» على مخطوطة الفاتيكان رقم ٩٩١، وعدد صفحاتها ١٨٣ صفحة، ومسطرتها ٢٧ سطرا. وقد اتضح لنا بعد البحث والمضاهاة والمقابلة أنها أكمل ما وصل إلينا من مخطوطات نهج البلاغة (انظر اللوحات ١ و٢ و٣)، وهى مكتوبة بعناية على ابن إبراهيم الحمدانى فى جمادى الثانى عام ٣٢٠هـ.

واعتمدنا كذلك عند إخراج هذه «الزبدة» على النشرة التي أصدرها المحقق الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم، الصادرة عام ١٩٨٨ (دار الجيل - بيروت)، وعلى الطبعة التي قام بتحقيقها الأستاذ الدكتور صبحي الصالح (دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني)، بيروت ١٩٩٠.

والله نسأل أن ينفع به القاصي والداني، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وهو حسبي ونعم الوكيل.

دكتور

عبد الحميد صالح حمدان

قال صاحب الفارقة ولا يقبل قول اهل التواريخ ولا يقبل قول صاحبهم اسلافه
قال الامام من في هواه كفته بهت وقد رمت في بعض اهل البيت وعدادهم الم تعلم أن
الرمح من غلصان الزبيب ونسج رقيقه المعزه واهل العلم كانه يقبلوا الاحتجاج
واستمد بعضهم من بعض مع الاختلاف في ذلك بينهم ولم يردوا الاتوانة الخطابية
الذين شاركتهم في هوان الخدب انتهى

وهذه نكتة سريفة في شان السيد الرضي رضي الله عنه وانه من الزيدية
وان الله افاض عليه انوار لطفه حتى لزم منهج ابائه الكرام وساد في مضارهم
المستقيم وانه ليس نافضا ويقوي هذه الرواية أن امه الشريفة الطاهرة
فاطمة بنت الامام الحسن بن علي الناصر لدين الله الاطروش صلوات الله عليه وسلامه
فيكون زيديا ناصريا وانه نقل عنه ان الى الحديد وتبدل عاداتهم سعوا
أنها كانت تنتمي نفسه الى الخلافة ولو كان اماميا لم تسم نفسه إذ لا
خلافة على مذهبهم وقد صحت ديانته وورعه فلا تحدثه نفسه بان يكون
سلطانا ولا يتم له ذلك الا مع كونه زيديا والله اعلم

نقل ذلك من خط قال فيه كتبه احمد بن عبد الله بن احمد بن ابرهيم
بن محمد بن عبد الله عفا الله عنه

ابن الوزير

الجزء الاول والاخير من نهج البلاغة

الجزء الاول من جزئين من كتاب
نهج البلاغة من كلام امير المؤمنين
علي بن ابي طالب صلوات الله عليه وسلامه
تاليف الشريف الرضي ذي
المجدين ابن الطاهرين
الاجل الطاهر
الاوحد
الموتوى رضي الله عنهما امين وصلى الله على محمد واله الطاهرين

اسود ي محو هذا الكتاب الذي هو كلام امير المؤمنين سهاده ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان الجنة حق وان النار حق وان الساعة
اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور
الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصي نعماءه العادون ولا يؤدي حقه
المجتهدون الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن الذي ليس لصفته حد
محدود ولا نعت موجود ولا وقت معدود ولا اجل ممدود سبحانه وتعالى عما يصفه
واصفوه وتجاوز عما ينعته ناعتوه

حزانه الوالد السيد العلامة تعالى الله عليهم بعد الله الصمد الحميد ايا ما تنعما
وما عند ربك خير وابقى

ابيات حكمية

لنوائب الدنيا جبلت فانقه يا نائما من جملت السقام
اعلى الصراط تزل رجلة كريتي ام في المعاد تجوز بالانعام

ابيات حكمية

يخاف ريب الدهر من نفسه الفتى سفاها فريب الدهر عنها بخاوع
ويطمع في سوق ويعدو دونه وكم من حريص اهلكته بطامع

[illegible] على [illegible]
[illegible] في ملكه الحقير المستجير بالله من عذاب السعير
[illegible] وهو من جلة ما وقفوه على
[illegible] ذي العلم الاكبر ذو الله تعالى
[illegible] الكبير محمد مرتضى
[illegible] المجتهد حامد تعالى
[illegible] بقاه وكلاه
[illegible] وسلم على محمد واله
[illegible]

امين الموسى عليك مني سلام لا اخلد له فن اعه
لقد شبقت نفاخته ابن ابا وقد جليت في نهج البلاغه

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وحده

أما بعد حمد الله الذي جعل محمداً نبياً لنجابه، ومعاداً بن بلابه، وشبيلاً الى عنايه، وشبثاً لزياده اختياره، والصلوة على رسوله نبي الرحمة، وامام الامة، وسراج الامة، المنتجب من طينة الكرم، وسلالة الجد الاقدم، ومعترض الفجاءة المعرق، ومرتع الغلا المثمر المورق، وعلى اهل بيته مصابيح الظلم، ومفاتيح الابهم، وسادة الدين الواضحة، ومناهيل الفضل الراجحة، صلى الله عليهم افضل صلاة يكون ازكى التعليم ومكافاة لتعليمهم، وكفاء لطيب فرعهم واصلهم، ما انار فجر ساطع، وحوى نجم طالع.

وانتخبت في عنفوان الشرخ، ومصاصة العضر اشد ات سالف كتاب في خصائص لامة عليهم السلام يشتمل على محاسن اخبارهم، وجواهر كلامهم، فجاء بديعاً مرتباً ذكرته في صدر الكتاب، وجعلته امام الكلام، وقدمت من الخصائص التي تخص امير المومنين صلوات الله عليه، وفاقت من امام بقيه الكتاب، فجاءت الكلام، وتماطلت الزمان وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك ابوابا، وفصلته فصولا، فجاء في اخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه صلوات الله عليه، من الكلام القصير في المواعظ والحكم والاداب، دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة، فاستحسن جماعة من الاصدقاء ما اشتمل عليه الفصل المتقدم ذكره، فتخيلت سداده، وتوخيت من بواعثه وتوالي عدده ذلك بان ابتدأ بتاليف كتاب يحتوي على مختار كلام امير المومنين صلوات الله عليه في جميع فنونه، ومتشعبات غصونه، من خطب وكتب وعواظ وادب، على ان ذلك يتضمن من محاسن البلاغة، وغرائب الفصاحة، وجواهر العربية، وبدائع الكلام الديني، والدنيوي، ما لا يوجد مجتمعاً في كلام، ولا مجموع الاطراف في كتاب اذ كان امير المومنين صلوات الله عليه، منشئ الفصاحة ومولد البلاغة ومنشا العربية ومولدها، منه عليه السلام فجر مخرها، وعنه اخذت قوانينها، وعلى امثلته خذا كل قائل خطيب، وبكلامه استنار كل واعظ مفوه، ومع ذلك فقد شين وبضرا وعدم وتاخروا لان كلامه صلوات الله عليه الكلام الذي علوه منه من كلام الالهي وفيه عبقه من الكلام النبوي، فاجتهدت الى ذلك غاية ما فيه من تعظيم النفع ومنشور الذكر، ومذخور الاجر، واعتمدت به ان ابين من عظم قدر امير المومنين صلوات الله عليه بهذه الفضيلة مضافا الى المحاسن التي ذكرتها، والفضائل الجمة، والله عليه السلام افضل صلوات غايتها من جميع السلف الاولين الذين ما يوثق غنهم بنها القليل النادر.

والسداد الشارد. وأما كلامه صلوات الله عليه فهو البحر الذي لا يساجل والحكم الذي لا يقاول. وإذا أراد أن يتوخى في التمثل به الاقتداء به صلى الله عليه فليقل بقول العبد الصالح. أو ليقل أبي لا محالة ما أراد بقوله. وترتيب كلامه صلى الله عليه يبدو من على أطباق ثلثيه. أولها الخطب والأوامر. وثانيها الكتب والرسائل. وثالثها الحكم والمواعظ. ثم محاسن الخلة. ثم محاسن الحكم والآداب. فمن أراد الكل صنف من ذلك بابا. ومن فضل فيه أو رأى أن يكون لاشتداد ساعده أن يستغني فاعلا. ويقع إلى أجلا. وإذا جاءه من كلامه صلى الله عليه الحاجز في إنشاء خواتيم أو جواب سؤال أو فرض آخر من الأغراض عدل الاختيار إلى ذكرها. وقد ثبتُّ العاقدة عليها. نشتمله إلى أنبل الأبواب فيه. وأشدها ملاءمة لغرضه. وربما جاء فيما اختاره في ذلك يقول غير متبعه. ومحاش لم يغر بتتبعه. لأني أريد أن أنحت واللبخ. ولا أنضد المثالي والنسق. ومن محاسنه التي انفرد بها. ومن مساواته فيها. أن كلامه ليزيد في الزهد والمواعظ. والتذكير والترجيح. إذا تأمله المتأمل وتدبره المتفكر. ولع في قلبه أن كلام سيد صلوات الله عليه. من فطر فطرة زهد مرة. وأخاط بالرقاب ملكه. لم يتعرضه الشك في أنه من كلام من لاحظ له في عمل الزهاد. ولا شغل له بغير العباد. فذ تتبع في ليس بنت. أو انقطع إلى شغل لا يشغ لاخته. ولا يزري الأنسه. ولا يوهن بابه. كلام من يتعرض للحرب مضلنا شيعة فيمط الرقاب ويجدل الأبطال. ويغوده بنطف دما. ويقطر ممحا. وهو مع ذلك لعال زهد الزهاد. وبذل الأيد. وهذه من فضائله المحسبة. وخصائصه المنصبة. التي جمع بها بين الأضداد. وألف بين الأشتات. وكثيرا ما أذاكر الأحوال بها. وأستخرج. فيهم بها. وهي موضع للغرة والبكرة فيها.

وربما جاء في أثناء هذا الاختيار اللفظ المردد. والمعنى المكرر. والغرض في كل ذلك أن تأتي الكلام المختار في روايه منقلا على وجهه. ثم ترجعه بعد ذلك في روايه أخرى موضوعا عن وضعه الأول. إما بزيادة يختارها أو لفظ أحسن عبارة. يقتضي الحال أن يقاد استطهارا للاختيار. وغيرة على غوائل الكلام. وربما بعد العهد أيضا بالاختيار الأول فاعتد بغصه نهوض.

نقوش خواتم امير المؤمنين علي عليه السلام

على فص العقيق وهو خاتم الصلوة. لا إله إلا الله عدة للقاء الله. وعلى فص الفيروز نيروز. وهو للحرب. نصر من الله وفتح قريب. وعلى فص الياقوت وهو لقضائه الله الملك وعلى عبده. وعلى فص الحديد الصيني وهو لخاتمه. لا إله إلا الله محمد رسول الله.

قال الشيخ الامام ابو يوسف يعقوب بن احمد النيشابوري رحمة الله

نهج البلاغة نهج جديد لمن يريد علو آماله المدد
يا عاذلا عنه تنهى بالهوى رشدا اعدل إليه فبين الخير والرشد
والله والله إن التارك كم عن خطاب تخاطيط كما شددا
كأنها الفقد منظوما جواهرها على نواحيها زينا العقد
ما لهم دونا إن كنت تعرفنى إلا القنوت والا البغى والحسد

ثم هذه الخاتمة المجلسة من كلام امير المؤمنين وشبه الوصيين وقائد الغر المحجلين ليث بنى غالب وفاتك الكتائب واسد الله الضارب علي بن ابي طالب سلام الله عليه

نجز ذلك بين صلاتي الظهر والعصر في يوم الخميس في العشر الوسطى من شهر جمادى الاخر احد شهور سنة اثنتين وثلاثين والف سنة من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلوة والسلم بخانقاه مولانا السيد الافضل العلامة المجاهد خلف الفخرة الكرام جمال الاسلام على بن ابرهيم الحمداني حفظه الله ابدا.

وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما

زبدة

نهج البلاغة

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة السيد الشريف الرضى
لنهج البلاغة

أما بعد حمد الله الذى جعل الحمد ثمنا لنعمائه، ومعاذا من بلائه، ووسيلا إلى جنانه، وسببا لزيادة إحسانه. والصلاة على رسوله نبى الرحمة، وإمام الأئمة، وسراج الأمة، المنتجب من طينة الكرم، وسلالة المجد الأقدم، ومغرس الفخار المعرق، وفرع العلاء المثمر المورق. وعلى أهل بيته مصابيح الظلم، وعصم الأمم، ومنار الدين الواضحة، ومناقيل الفضل الراجحة. صلى الله عليهم أجمعين، صلاة تكون إزاء لفضلهم، ومكافأة لعملهم، وكفاء لطيب فرعهم وأصلهم، ما أنار فجر ساطع، وخوى نجم طالع. فإنى كنت فى عنفوان السن، وغضاضة الغصن، ابتدأت بتأليف كتاب فى خصائص الأئمة عليهم السلام: يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم؛ حدانى عليه غرض ذكرته فى صدر الكتاب، وجعلته أمام الكلام. وفرغت من الخصائص التى تخص أمير المؤمنين عليا عليه السلام، وعاقت عن إتمام بقية الكتاب محاجزات الأيام، ومماطلات الزمان. وكنت قد بوّبت ما خرج من ذلك أبوابا، وفصّلته فصولا، فجاء فى آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه

السلام من الكلام القصير في المواعظ والحكم والأمثال والآداب، دون الخطب الطويلة، والكتب المبسوطة. فاستحسن جماعة من الأصدقاء ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجبين ببدائعه، ومتعجبين من نواصعه، وسألوني عند ذلك أن أبتدئ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه، ومتشعبات غصونه: من خطب، وكتب، ومواعظ، وأدب. علما أن ذلك يتضمن من عجائب البلاغة، وغرائب الفصاحة، وجواهر العربية، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية، ما لا يوجد مجتمعا في كلام، ولا مجموع الأطراف في كتاب؛ إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها؛ ومنه عليه السلام ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها؛ وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب، وبكلامه استعان كل وعظ بليغ. ومع ذلك فقد سبق وقصروا، وقد تقدم وتأخروا، لأن كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي وفيه عبقة من الكلام النبوي، فأجبتهم إلى الابتداء بذلك عالما بما فيه من عظيم النفع، ومنشور الذكر، ومذخور الأجر. واعتمدت به أن أبين عن عظيم قدر أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الفضيلة، مضافة إلى المحاسن الدثرة، والفضائل الجمة. وأنه عليه السلام انفرد ببلوغ غايتها عن جميع السلف الأولين الذين إنما يؤثر عنهم منها القليل النادر، والشاذ الشارد. فأما كلامه فهو البحر الذي لا يساجل، والجم الذي لا يحافل.

وأردت أن يسوغ لي التمثل في الافتخار به عليه السلام بقول الفرزدق:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنا ياجرير المجامع

ورأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة: أولها: الخطب والأوامر، وثانيها: الكتب والرسائل، وثالثها: الحكم والمواعظ؛ فأجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب، ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحِكَم والأدب. مفردا لكل صنف من ذلك بابا، ومفصلا فيه أوراقا، لتكون مقدمة لاستدراك ما عساه يشذ عني عاجلا، ويقع إليّ آجلا. وإذا جاء شيء من كلامه ـ عليه السلام ـ الخارج في أثناء حوار، أو جواب سؤال، أو غرض آخر من الأغراض ـ في غير الأنحاء التي ذكرتها، وقررت القاعدة عليها ـ نسبته إلى أليق الأبواب به، وشدها ملاءمة لغرضه. وربما جاء فيما أختاره من ذلك فصول غير متسقة، ومحاسن كَلِم غير منتظمة؛ لأني أورد النكت واللمع، ولا أقصد التتالي والنسق.

ومن عجائبه، عليه السلام، التي انفرد بها، وأمن المشاركة فيها، أن كلامه الوارد في الزهد والمواعظ، والتذكير والزواجر، إذا تأمله المتأمل، وفكر فيه المتفكر، وخلع من قلبه أنه كلام مثله ممن عظم قدره، ونفذ أمره، وأحاط بالرقاب ملكه، لم يعترضه الشك في أنه كلام من لاحظ له في الزهادة. ولا شغل له بغير العبادة، قد قبع في كسر بيت، أو انقطع إلى سفح جبل، لا يسمع إلا حسه، ولا يرى إلا نفسه، ولا يكاد يوقن بأنه كلا، من ينغمس في الحرب مصلتا سيفه، فيقطع الرقاب، ويجدل الأبطال، ويعود به ينطف دما، ويقطر مهجا. وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد، وبدل الأبدال. وهذه من فضائله العجيبة، وخصائصه اللطيفة، التي جمع بها بين الأضداد، وألف بين الأشتات، وكثيرا ما أذاكر الإخوان بها، وأستخرج عجبهم منها، وهي موضع معبرة بها، والفكرة فيها.

وربما جاء في أثناء هذا الاختيار اللفظ المردد، والمعنى المكرر؛ والعذر في ذلك أن روايات كلامه تختلف اختلافا شديدا: فربما اتفق الكلام المختار في رواية فُنقل على وجهه، ثم وُجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعا غير موضعه الأول: إما بزيادة مختارة، أو لفظ أحسن عبارة، فتقتضي الحال أن يعاد، استظهاراً للاختيار، وغيرة على عقائل الكلام. وربما بَعُد العهد أيضا بما اختير أولا فأعيد بعضه سهوا أو نسيانا، لا قصدا واعتمادا.

ولا أدعي - مع ذلك - أني أحيط بأقطار جميع كلامه عليه السلام حتى لايشذ عني منه شاذ، ولا يند ناد. بل لا أبعد أن يكون القاصر عني فوق الواقع إليّ، والحاصل في ربقتي دون الخارج من يديّ؛ وما عليّ إلا بذل الجهد، وبلاغ الوسع، وعلى الله سبحانه وتعالى نهج السبيل، وإرشاد الدليل، إن شاء الله.

ورأيت من بعد تسمية هذا الكتاب بـ «نهج البلاغة» إذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها، ويقرّب عليه طلابها، فيه حاجة العالم والمتعلم، وبغية البليغ والزاهد، ويمضي في أثنائه من عجيب الكلام في التوحيد والعدل، وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن شبه الخلق، ما هو بلال كل غلة، وشفاء كل علة، وجلاء كل شبهة.

ومن الله سبحانه أستمد التوفيق والعصمة، وأتنجّز التسديد والمعونة، وأستعيذه من خطأ الجنان، قبل خطأ اللسان، ومن زلة الكَلِم، قبل زلة القدم، وهو حسبي ونعم الوكيل.